من دلالات الإضافة في السياق القرآني
مظاهرقصدية التعيين والنسبة بإضافة الضمير (ها) لصيغة (أفعال) في ضوء علم المناسبة

أ.م.د. **محمد توفيق الدُّغمان** /جامعة الأنبار /كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه الأمين ، الناطق بلسان عربي مبين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد. فقد شغلتني صيغة (أفعال) في السياق القرآني ، مضافاً إليها الضمير(ها) , في أيّ المواطن ذكرت ؟ وفي أي المواضع استعملت ؟ ولم اختيرت ؟ ما جاورها ؟ وما اتصل بها ؟ وما دلالتها ؟ وماذا لو سقطت ؟ وماذا لو أضيفت الصيغة إلى الاسم الظاهر ؟ وما أثرها في الدلالة السياقية للنص القرآني في ضوء علم المناسبة ؟ أسئلة تتردد تبحث عن إجابات .

وبعد التوكل على الله تعالى ، وتلمُّس مواطن الملابسة بالضمير (ها) ، والفرق بين دلالات الإضافة والتجريد ، مستنيراً بكتب التفسير ، واللغة ، والنحو ، والمعاجم ، والمشكل ، والغريب ، نبَّهتُ إلى عدد من الدلالات القصدية السياقية في الصيغة والضمير ،مهتدياً بعلم المناسبة ،وكان البحث في تمهيد عن دلالة الضمير ،و ستة مباحث هي :

المبحث الأول: قصدية التعيين والنسبة في دلالة الاختصاص وفيه : إضافة الضمير(ها) لكلمتي (أبواب) و(أقفال).

المبحث الثاني : قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع العددي وفيه : إضافة الضمير(ها)للكلمات(أمثال)و(ألوان) و(أكمام) .

المبحث الثالث:قصدية التعيين والنسبة في دلالة مجاز التشبيه والكناية وفيه:إضافة الضمير(ها)لكلمتي (أدبار)و(أبصار).

المبحث الرابع: قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع على الخفاء والغموض وفيه:إضافة الضمير (ها)لكلمة(أشراط).

المبحث الخامس : قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع في الحدث وفيه : إضافة الضمير (ها) للكلمات : (أنباء) و (أطراف) و (أقطار) و (أقوات) و (أرجاء) و (أثقال) و (أخبار) .

المبحث السادس : قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع في المنافع وفيه : إضافة الضمير (ها) للكلمات : (أشعار ، أوبار ، أصواف).

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد .

تمهيد في دلالة الضمير :

تدور معاني (ضمر) حول الخفاء والضآلة ، فالضُّمُر بضم الضاد والميم أو بإسكان الميم ، هو الهُزال ، لأن ؛ " الضُمر بالضم الهزال ، ولحاق البطن ... والُضُمر من الرجال الضامر البطن ... وتَضمير الخيل أن تُشَدَّ على سروجها ، وتُجَلَّل بالأجِلَّة ، حتى تُعَرَّفَ تحتها فيذهب رهلُها ، وقضيب ضامر ، منضمر وقد انضمر اذا ذهب ماؤه ... والضمير : العنب الذابل " [١] .

هذه الاصول والمشتقات ، تميل بمعانيها إلى (الهزال ، وذهاب الرحل ، وذهاب الماء ، والذبول) وكلها تؤدي معنىً واحداً هو الانكماش ، وثمة وجه آخر هو أخفى مما أومأت اليه ؛ وهو " السر داخل الخاطر ...، والشئ الذي تضمره من العادات ما كان عن تسويف ، والمال الضمار هو الغائب " [٢] ، وبما أن الغرض من استعمال الضمائر الاختصار، فإن ذلك يتماشى مع المعنى اللغوي الذي هو الخفاء والانكماش .

هذا في اللغة أما الضمير اصطلاحا: فهو (فعيل) بمعنى اسم المفعول ، أي (المضمر) ، وإنما سمي ضميراً، لأنه من ؛ أضمرت الشئ إذا سترته وأخفيته ، وقيل : سمي بذلك لكثرة استتاره [٣]. والضمير من مصطلحات البصريين ، وأما الكوفيون " فيسمونه كناية ومكنياً ، لأنه ليس باسم صريح " . [٤]

لقد تعرض النحاة للضمير تعريفاً وتوصيفاً ، فسيبويه (١٨٠هـ) ، اجتزأ قائلاً : " وأما الإضمار فنحو: هو وإياه وأنت"[٥]، ونبعد قروناً ، فإذا بابن يعيش (٦٤٣هـ) يصفه بأنه : " اسم كني به عن اسم " [٦]. وعَرَّفه الرضي (٦٨٦هـ) بقوله : " ما وُضع لمتكلم ، أو مخاطب ، أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى ، أو حكماً [٧]. وزاد ابن كمال باشا(٩٤٠هـ) فقال : هو " الاسم المتضمن للإشارة الى المتكلم ، أو المخاطب ، أو الغائب بعد سبق ذكره لفظاً تحقيقاً ، أو معنى ، أو حكماً " [٨]. واعتذر السيوطي (٩١١هـ) عن التعريف فقال : " ولكونه الفاظاً محصورة بالعدّ استغنينا عن حَدِّهِ كما هو اللائق بكل معدود كحروف الجر " [٩]. وليس هذا بالاستقصاء ، لكنه بيانٌ مُعَبِّرٌ .

---

(١) اللسان:لابن منظورالافريقي المصري :٤٩١/٤،(ضمر)

(٢) اللسان:لابن منظور:٤٩١/٤،(ضمر)

(٣) ينظر معجم الافعال المتعدية بحرف: ٢٥١، و شرح شذور الذهب : ١٣٤ وشرح التصريح ، للشيخ خالد الازهري : ٩٥/١ ومعاني النحو: ٤٥/١.

(٤) شرح التصريح،:٩٥/١.

(٥) الكتاب، سيبويه : ١٢٧/٤.

(٦) شرح المفصل، لابن يعيش:٨٤/٣.

(٧) شرح الرضي على كتاب الكافية في النحو : ٣/٢ . وينظر : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ٨٨/١.

(٨) أسرار النحو:لأحمد بن سليمان (المعروف بابن كمال باشا): ١٧٠.

(٩) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السيوطي : ١ /٥٦.

ومع أنهم ربطوا بين الضمير والاسم العائد إليه ، إلا أنه اقتضى تقدم المفسِر على الضمير الغائب ؛" لأنَّه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه ، بل بسبب ما يعود عليه ، فإن ذَكَرته ولم يتقدمه مفسِر بقي مبهماً منكراً لا يعرف المراد به "(١) إلا لغرض بلاغي يقتضي ذلك ،كما في ضمير الشأن ، وفي البيان بعد الإبهام . إذ ليس من الضرورة أن يكون عائد الضمير مذكوراً في الكلام ، فقد يُستدل عليه من المعنى أو من السياق ، أو يعود على بعض ما تقدم ، وذلك من الإيجاز الذي يقوم مقام الإكثار والإظهار . وقويَ إضمار هذا لشهرة الاستعمال فيه ، وللضمائر وظيفة خاصة من أجلها وجدت في الاستعمال اللغوي ، وهذه الوظيفة لخطرها استلزمت بقاء الضمائر ، ودوام استعمالها بدوام اللغة .

لقد بين القدماء أنَّ الغرض من استعمال المضمرات هو الإيجاز والاختصار والاحتراز من الإلباس ،

" فأما الإيجاز فظاهر ؛ لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله ، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم ، وأما الإلباس ؛ فلإنَّ الاسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك ، فاذا قلت : زيد فعل ، جاز أن يتوهم في زيد الثاني أنه غير الأول ، وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا التبست ، وإنما يزيل الالتباس منها في كثير من أحوالها الصفات ... والمضمرات لا لَبس فيها ، فاسْتَغْنَتْ عن الصفات ؛ لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها : حضور المتكلم ، والمخاطب ، والمشاهدة ، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم " (٢) .

أما من جهة التعريف " فأَعْرَف المضمرات المتكلِم ، لأنه لا يُوهِم غيره ثم المخاطب ، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة ، وأضعفها تعريفاً كناية الغائب ، لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة ، حتى قال بعض النحويين : كناية النكرة نكرة "(٣) .

كذاك اختلفوا في الضمير الراجع الى النكرة هل هو نكرة أو معرفة ؟ ، فـ " قيل إنه نكرة مطلقاً، وقيل معرفة مطلقاً،وقيل :إن النكرة التي يرجع الضمير إليها، إما أن تكون واجبة التنكير أو جائزته، والأول كضمير (رُبّ) ونحوه ، وإذا كانت جائزة التنكير كما في قولك : جاءني رجل فأكرمته ، فالضمير معرفة" (٤) .

هذا موجز عن الضمير ودلالاته عند النحاة ، وإذا كان فريق من مفسري القرآن الكريم قد توقف عند توجيهاتٍ محددة في بيانه لدلالات اتصال الضمير(ها) بصيغة (أَفعال) ، فليس هناك ما يمنع من محاولة جادة لإضافة توجيه جديد في أمثلة مستقرأة من القرآن الكريم يُظهر فيها التوسع دلالة لم يُشِر إليها السياق، وتُظهِر هي قصديةً في الخطاب ، وتعييناً ونسبةً . أسأل الله لي ولكم التوفيق والفتح ، إنه سميع مجيب .

---

(١) شرح الرضي: ٢/٥.

(٢) شرح المفصل: ٨٤٠٣ ، وينظر ضمائر الغيبة أصولها وتطورها ، بحث للدكتور فوزي حسن الشايب ، مجلة حوليات الآداب والعلوم والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي –جامعة الكويت المجلد :٨ العدد : ٤٦ ١٩٨٧ :ص١١ .

(٣) شرح المفصل: ٣/ ٨٤-٨٥.

(٤) الكليات لأبي البقاء : ٥٧١.

المبحث الأول

قصدية التعيين والنسبة في دلالة الاختصاص

أولًا: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أبواب) :

١ – لأهل التفسير إشارات منها نستقي لطائف لغوية دلالية ، في قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [البقرة : ١٨٩]

قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : " ويحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم ، وأن مَثلهم فيه كَمَثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره ، والمعنى : ليس البرّ ، وما ينبغي أن يكونوا عليه ، بأنْ تُعَكِّسُوا في مسائلكم ، ولكن البر برّ من اتقى ذلك وتجنبه ، ولم يجسر على مثله... أي : وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن يباشر عليها ، ولا تُعَكِّسوا ، والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ، ولا اعتراض شك في ذلك ، حتى لا يسأل عنه ، لِمَا في السؤال من الاتهام بمفارقة الشك { لا يُسألُ عمَّا يفعل وهم يُسألون } الأنبياء/٢٣ " (١) .

ورأى أبوحيان (٧٤٥هـ) : " أن إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح ، وإتيانها كناية عن التمسك بالطريق الصحيح ، وذلك أن الطريق المستقيم أن يستدل بالمعلوم على المظنون ، وقد ثبت أن الصانع حكيم لا يفعل إلاَّ الصواب ، وقد عرفنا أن اختلاف أحوال القمر في نوره من فعله ، فيعلم أن فيه مصلحة وحكمة ، فهذا استدلال بالمعلوم على المجهول . أما أن نستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على أن فاعله ليس بحكيم ، فهذا استدلال بالمجهول على المعلوم ، فالمعنى : أنكم لما لم تعلموا حكمته في اختلاف القمر ، صرتم شاكّين في حكمة الخالق ، فقد أتيتم ما تظنونه براً ، إنما البرّ أن تأتوا البيوت من أبوابها فتستدلوا بالمعلوم ، وهو حكمة الخالق على المجهول ، فتقطعوا أن فيه حكمة بالغة ، وإن كنتم لا تعلمون،... وأصله : استعارة فشاعت حتى قاربت الحقيقة " (٢) .

هذا كلام لطيف ، لكننا نناقش من طرفٍ خفي ، ما لم يُظهَر لنا فيه أمر ، ولا كُشِفَ منه سر، ولا رُفع عنه ستر، فالغاية العظمى تكمن في قوله تعالى :(أبوابها) وما أدراك ما أبوابها ؟ .

تأمل قليلا في هذه الكلمة ، وتركيبها العجيب ، بين الاتساع والتخصيص ، تجد السياق نَكَّرَ الأبواب وأضافها الى ضمير الغائب ، ومن المعلوم أن التنكير يفيد العموم ، فعمَّ المعلوم وغير المعلوم ، الظاهر وغير الظاهر ،المعروف والمكني، الحقيقة والمجاز . إذ إنَّ البيوت معلومة ، لكن الأبواب غير معلومة ، ولامعروفة ، إلَّا أن تُعرَف أنها هي المقصودة ، والتعريف يكون بإضافة الضمير(ها) ، فيكون المراد : أبوابها التي يسمح لكم بدخولها أو إتيانها ، وهو دلالة النصّ ؛

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢٦٢/١

(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٢٢١/٢ .وينظر التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور(١٣٩٣هـ) : ١٦٦/٢٥.

لأن هناك أبوابا لايسمح لكم بدخولها ، وهو مفهوم النص ، وهناك أبوابٌ مغلقة لا يمكن الدخول منها . فأفاد الضمير النسبة ، وأفاد التعيين ؛ لأنه لو لم يُرِد التعيين لأتى بالاسم الظاهر ، المعرف بأل (الأبواب) ، فليست كل أبواب البيوت مداخل للغرباء، فهناك مداخل للضيوف معلومة، لها أبوابها ، ومداخل للخدم ، ومداخل للأقارب ، وأخرى للنساء ، وفي هذا إشارة إلى أنَّ للسؤال آداباً ، وللجدل حدوداً ، لا ينبغي تجاوزها .

وقد لا تكون أبواب البيوت مقصودة في سياق النص ، وإلا لَقيل : (ائتوا البيوت من أبواب البيوت) ، ولشمل الكلام أبواب البيوت كلها ، لكنه أتى بـ (أبواب) مضافاً إلى الضمير للدلالة على التخصيص ، وهذا من التوسع في الوقت نفسه .

وقد لا يكون المقصَد البيوت أنفسها ، بل المقصَد ؛ الإتيان من الأبواب ، سواءً أكانت حسية أم معنوية ، فشملَ المعهودة منها ، وغير المعهودة ، لكنه خصَّصها بالضمير ، ويدخل في الدلالة أنّ إتيان أية مسالة ينبغي أن يكون من طريق صحيحة ليس فيها مخالفة ، ولا يحول دونها حائل .

من هنا فلو قال :(فأتوا من أبواب البيوت) ، لانصرف القصد إلى أبواب بيوت السكن ، ولشمل كل الأبواب فيها، ولو قال: (فأتوا من الأبواب) لانصرف القصد إلى الأبواب فقط ، وإن لم تكن في البيوت ، وكلاهما ليس المراد وحده ، لكنه في قوله : (أبوابها) حدد أموراً ، دلت فيها الهاء مع المد مع الصيغة ؛ على تعدد الطرق بتعدد الأبواب ، ومع إن هذه الطرق معدودة إلا أنها محددة بالسياق نفسه ، فسار في التخصيص بالضمير إلى الإفهام لا الإبهام ، وإلى التعريف لا التنكير، وإلى التحديد بالألف عَوداً إلى المؤنث ، فأفاد بـ(أبوابها) الأبواب المعلومة المعهودة للبيوت ، والقضايا المعلومة المعهودة بين الناس ، وأفاد مشروعية الطرق والوسائل جميعها إن ارتبطت بأبواب مخصوصة ؛ إذ المراد أبواباً بعينها ، ففي بيان الجزء الدلالة على توسع الأجزاء وتعددها ، وهي إفادة ضمنية ؛ لآن في استعمال الضمير اقتصاد في النطق للدلالة على شي مخصص من هذه الاشياء الواسعة أيضا ، وهذا يتماشى مع دلالة المجاز والاستعارة المرادَين في هذا الأسلوب ؛ لأن الموضوع المستعار له محَدَّد ، والقضية المتكلَم عليها محَدَّدة ، ومن خلال هذا الطرح لنا أن نقول : بما أن التوسع جاء من الإضافة الى الضمير (ها) ، فإن التحديد جاء أيضاً من الإضافة إلى الضمير (ها) ، فشملا وجوه الدلالة المعروضة آنفاً جميعها ، والله اعلم بالصواب .

٢ – في قوله تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) } [الزمر : ٧١ – ٧٤]

تقدم في سورة البقرة قوله تعالى : (**من أبوابها**) [١] ، فقد نَكَّر الأبواب وأضافها للتخصيص ، أي:ائتوا من أبوابها المخصَّصة ، وفي هذا الموضع قال تعالى : (فُتحت أبوابها) ، أي ؛ أبواب جهنم ، المخصصة للكافرين ، و(**وفتحت أبوابها**) ، أي: أبواب الجنة ، المخصصة للمتقين . إن تنكير الأبواب يدلل على توافر أبوابٍ كثيرة في الموقعين (الجنة والنار) ، أبواباً متعددة سوى هذه الأبواب المقصودة المخصوصة بإضافتها إلى الضمير، فقد خصَّ منها الأبواب المقصودة بالذكر ؛ التي يُساق إليها الكافر ، أو التي يساق إليها المؤمن المتقي ، ولكن هناك أبواب للظالمين ، وأخرى للمنافقين ، وغيرها للمشركين والطاغين والمسرفين والمطففين وغيرهم كل بصفته ، ففي جهنم منازل ولكل منزلة أبوابها على عدد الزُمر، وكذا الجنة جِنانٌ بحسب مراتب أهلها ، ولكل جنة أبوابها على عدد الزمر ، فظهر للمتأمل الفرق الدلالي بين (**الأبواب**) في(ص/٥٠) ، و(**أبوابها**) في سورتي البقرة /١٨٩ والزمر/ ٧١ ، و(**أبواب جهنم**) في سورة الزمر/٧٢ .

إذن اتسع المعنى في دلالة (أبوابها) ، أي: فُتِحَتْ أبوابها التي تَخُصُّ الكافرين ، وهي المُعَدَّة لهم ، وبما أنهم زمرٌ متعددة ، متفاوتون ، فلكل زمرة باب معدّ للدخول ، وهنا استعمل الكفر وهو عموم مطلق في كل مخالفة وستر للحقيقة ، فلمّا اعترفوا بذنوبهم ، وتوزَّعوا تحت مسميات وصفات هي جزئيات تحت ذلك العموم ؛حقَّت كلمة العذاب عليهم ، فأزال التحديد والتخصيص ، واستبدل الضمير بالاسم الظاهر فقال: (قِيل ادخلوا أبواب جهنم) للدلالة على العموم ،أي: ادخلوا أبواب جهنم مُشرَعةً جميعها ؛ لأن الكلام ليس على الجنة أو النار أو الأبواب ، بل هو على فتح الأبواب ، عندما تتهيأ النار لمن سيدخلها ،أي: عندما تحين ساعة الموافاة .

أما مع أصحاب الجنة من زُمَر المتقين ، " فيقول الحق جلّ جلاله : (وسيقَ الذين اتقوا ربهم) مساق إعزاز وتشريف ، بلا إسراع ولا تكليف ، إلى دار الكرامة والتعريف . يُساقون راكبين مبجَّلين ،كما يجيء الوافدون إلى دار الملوك، يساقون زُمراً متفاوتون ، بحسب تفاوت مراتبهم في الفضل ، وعلو الطبقة ، (حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتم) ، أي:ظفرتم ،... (فادْخُلوها خالدين) ، وحذف الواو في وصف أهل النار؛ لأن أبواب جهنم لا تفتح لهم حتى يَصِلوا إليها ، وفي وقوفهم قبل فتحها مَذَلَّة لهم ،كما هي حال السجون ، بخلاف أهل الجنة ، فإنهم يجدونها مفتوحة ، قال تعالى : (مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ)ص:٥٠، كما هي حال منازل الأفراح والسرور "[٢].

تأمل قوله تعالى في أهل النار:

جاؤوها

فتحت أبوابها

وقال لهم خزنتها

(١) تقدم الكلام عليها في الصفحات/٣- ٥ .

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المعروف بتفسير ابن عجيبة ، أحمد بن مهدي بن المهدي بن عجيبة(١٢٢٤هـ) (١٨٠٩م) : ٣٤٤/٥.

قيل ادخلوا أبواب جهنم ، تجد التوافق والتشاكل بتكرار الضمير (ها) خلا (أبواب جهنم)

وفي أهل الجنة : جاؤوها

وفتحت أبوابها

وقال لهم خزنتها : سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها

تجد التوافق والتشاكل اللفظي في السياق القرآني بتكرار استعمال الضمير (ها) في الكلمات مع مَزيّة إضافة الضمير الرابع في (ادخلوها) ، الأمر الذي حُرِمَ منه الكافرون .:

جاؤوها ، أبوابها ، خزنتها ، فادخلوها

فجاء بضمير التحديد والتخصيص ؛ لأن المتقين مخصوصون بها تملكوها بتقواهم ، ومنزلتهم مخصوصة ، وأبوابهم مخصوصة ، يدخلون في الجنة مطمئنين بلا تردد عند الأبواب ، أما الكافرون وهم عموم تندرج تحته فروع كثيرة ، فقد خصَّصها بهم ، وخصَّ بها أبوابها ، وخصَّ بها خزنتها ، ثم عمم الدخول بأبواب جهنم ، لتخوفهم من الدخول ، وترددهم بين الأبواب ومحاولة الفرار، فجاء الرد ؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم غير محددين بباب . فتأمل في عظمة هذا النص الخالد العظيم .

وتأمل أيضاً في قول خزنة الجنة لأهلها : أدخلوها ، وقول خزنة النار لأهلها : أدخلوا أبواب جهنم ، مرةً أخرى ، تجد تحته سراً لطيفاً آخر ، ومعنى بديعاً ، لا يخفى على المتأمل ؛ وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء ، وأشده حراً، وأعظمه مما يَستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب ؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم صَغاراً لهم وإذلالاً وخزياً ، ثم قيل لهم لا يقتصر الأمر معكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود في النار .

وأما الجنة فهي دار الكرامة ، والمنزل الذي أعده الله لأوليائه ، فَبُشِّروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها . فتأمل قوله سبحانه : (جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةٌ لَهَم الأَبوابُ مُتَّكِئِينَ فيها يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَراب) سورة ص /٥٠ ، كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي ، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى: (إنها عليهم مُؤْصَدَة) الهمزة/ ٨ ، أي : مُطْبَقة ، ومنه سمي الباب وصيداً ، وهي مؤصدة في عَمَدٍ مُمددة ، قد جُعلت العُمُد مُمسكة بـ الأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب [1] .

---

(١) ينظر حادى الأرواح: ٨٨ .٩٤ ، و الكشف والبيان لابي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري:٢٥٧/٨ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود العمادي: ٢٣/٦ ، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٨١/٨ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: ٢٩٦/٣٠. .

ثانيا : قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أقفال) :

نبحث عن دلالة الضمير مضافاً إلى كلمة (أقفال) ، في قوله تعالى : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد : ٢٤] .

وقبل الإشارة إلى ما استَكَنَّ من دلالات ، ننظر في رأي أهل العلم :

قال الزمخشري: " فإن قلت : لِمَ نُكِّرَتْ القلوب وأضيفت الأقفال إليها ؟ قلت : أما التنكير ففيه وجهان : أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك . أو يراد على بعض القلوب : وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال ؛ فلأنه يريد الأقفال المختصة بها ، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح " (١) .

وقريب منه قول ابن عجيبة : " إنّ تنكير (قلوب) ، إما لتهويل حالها ، وتفظيع شأنها ، بإبهام أمرها في الفساد والجهالة ، كأنه قيل : قلوب مُنكرة لا يُعرف حالها ، ولا يُقادر قدرُها في القسوة ، وإما لأنّ المراد بها قلوب بعض منهم ، وهم المنافقون ، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها مخصوصة بها ، مناسبة لها ، غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة ... لقد أقفَل الحقُّ على قلوب الكفار ، فلا يدخلها زواجر التنبيه ، ولا تنبسط عليها شعاعُ العلم، ولا يحصل فيهم الخطابُ ، والبابُ إذا كان مُقفلاً ، فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه، كذلك هي قلوب الكفار مقفلة ؛ فلا الكفر الذي فيها يخرج ، ولا الإيمان الذي يُدعَوْن إليه يدخل في قلوبهم . وفي الحديث : (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له قُفل قلبه ، وجعل فيه اليقين) " (٢) .

ولأبي حيّان : هي استعارة للذين ذهب منهم الإيمان ، وأم منقطعة بمعنى بل ، والهمزة للتقرير ، ولا يستحيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها ذكر ، ولم يحتج إلى تعريف القلوب؛ لأنه معلوم أنها قلوب من ذُكِر. ولا حاجة إلى تقدير صفة محذوفة ، أي أم على قلوب أقفالها قاسية ، وأضاف الأقفال إليها ، أي الأقفال المختصة ، أو هي أقفال الكفر التي استغلقت ، فلا تفتح (٣) .

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٣٣٢/٦.

(٢) ينظر البحر المديد ، لابن عجيبة : ٦٧/٦. وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال :١١ / ٩٦.عن أبي ذر رضي الله عنه :(إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه، وجعل فيه اليقين والصدق، وجعل قلبه واعيا لما سلك فيه، وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليفته مستقيمة، وجعل أذنه سميعة وعينه بصيرة). وفي جامع الأحاديث ، للسيوطي : ٢ / ٢٦٧ :(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فتح له قُفْلَ قلبِهِ وجعل فيه اليقينَ والصدقَ وجعل قلبَه واعيا لما سلك فيه وجعل قلبَه سليما ولسانَه صادقا وخَلِيقَتَه مستقيمةً وجعل أُذُنَه سميعةً وعينَه بصيرةً (أبو الشيخ عن أبى ذر) وذكرَ :أخرجه الديلمى (٩٤/١/١) من طريق أبى الشيخ كما فى المداوى (٢٨٣/١ ، رقم ٣٨٧) والسلسلة الضعيفة (٢٥٣/٥ ، رقم ٢٢٢٧) ، والحديث موضوع كما فى المداوى والسلسلة الضعيفة . ومن غريب الحديث : "فتح له قُفْل قلبه" : أزال عن قلبه الحجب التى تمنع دخول الإيمان ورسوخ اليقين . "واعيا" : حافظا . "وخليقته" : سجيته وطبيعته مستقيمة معتدلة متوسطة . "وجعل أذنه سميعة" : أى مستمعة لما ينفعه فى الآخرة مقبلة على ما يسمعه من ذكر الله .قال المناوي في الفيض "٢٦٠/١": وفيه سعيد بن إبراهيم، وقال الذهبي: مجهول .

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط٨٦/١٠.

وفي شِفاء العليل لأبي عبد الله الزرعي نظرة لطيفة في بيان المراد إذ ورد فيه : " تأمل تنكير القلب وتعريف الأقفال فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال : أم على القلوب أقفالها ، لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة ، وفي قوله أقفالها بالتعريف نوع تأكيد ، فإنه لو قال أقفال ؛ لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم ، فلما أضافها إلى القلوب عُلِمَ أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب ، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها والله أعلم " (١) .

وفَصَّل ابن عاشور القول فذهب إلى أن : " تنكير (قلوب) للتنويع أو التبعيض ، أي : على نوع من القلوب أقفال. والمعنى : بل بعض القلوب عليها أقفال . وهذا من التعريض بأن قلوبهم من هذا النوع ؛ لأن إثبات هذا النوع من القلوب في أثناء التعجيب مع عدم تدبر هؤلاء القرآن ، يدل بدلالة الالتزام أن قلوب هؤلاء من هذا النوع من القلوب ذوات الأقفال، فكون قلوبهم من هذا النوع مستفاد من الإضراب الانتقالي في حكاية أحوالهم ، ... وإضافة (أقفال) إلى ضمير (قلوب) نظمٌ بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب ، أي ملازمتها لها فدل على أنها قاسية "(٢).

" وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم ، أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة ، أو لفرط جهالتها ، ونكَّرها كأنها مبهمة منكورة ، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفالٍ مُناسِبةٍ لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة" (٣).

لقد عالج القرآن الكريم قلوب الكافرين بأقفالٍ مُعَدَّةٍ لها ، من جنسها ومن غير جنسها، فذكر أنواعاً منها :

١ - (**الزَّيْغ**) {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف : ٥]

٢ - (**صَرْف القلوب**) {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [التوبة : ١٢٧

٣ - (**المَرَض**) { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [البقرة : ١٠]

٤ - (**قسوة القلوب**) {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } [المائدة : ١٣]

٥ - (**جعل الأكنَّة على القلوب**) {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف : ٥٧]

٦ - (**الختم على القلب والسمع ، والغشاوة على البصر**) {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة : ٧]

٧ - (**قَفْل القلوب**) {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد : ٢٤]

---

(١) ينظر شفاء العليل: ٩٥.

(٢) التحرير والتنوير : ٩٦/٢٦.

(٣) أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، الرازي : ٢٠٠/٥. وينظر مثله في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: ١٥٩/٦. و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الآلوسي: ١٥٩/٩.

٨ - (**الرَّيْن على القلوب**) {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤]

٩ - (**الطَّبْع على القلوب**) ، في أربعة مواضع :

أ- {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد : ١٦]

ب-{ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}[الأعراف : ١٠٠]

ت- {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة : ٩٣]

ث- {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل : ١٠٨

كل بحسب نوعه أعاذنا الله وإياك منها ، لكن الآية السابعة فيها صفة من صفات قلوب الكافرين ، وهي عدم تدبر القرآن ، فكان حال هذه القلوب أنها مُقفلة بأقفال خاصة ، وهذا ينبهنا إلى أمر جد خطير، فهذه الصفة تغاير الصفات الأخرى ؛لأن السياق نَكَّرَ الأقفال وأضافها إلى الضمير توسعاً في الدلالة،فعرَّفها بما يخصصها،فلو قال:(الأقفال) ؛ لكان الكلام على الأقفال المعلومة فقط ، ولو قال :(أقفال القلوب) ؛ لانصرف الكلام إلى القلوب فقط ؛ لإضافتها الى الاسم الظاهر. ولو قال:(أَم على قلوبٍ أقفال القلوب) أو(أقفال تلك القلوب)، لما توصل السياق إلى المقصود المحدود ، بل يكون تنكير قلوب للتنويع ، أي القلوب متنوعة ؛ منها هذه القلوب التي عليها الأقفال ،ومنها قلوب ليست عليها أقفال ، أو أقفال خاصة بها كأقفال الذنوب أو الكبائر او غيرها ، فكل بحسب درجته .

أمّا قوله (أقفالها) فالكلام على عملية القفل ، أي القلوب التي أُقفِلَتْ . هنا التوسع مُتَأَتٍّ من التخصيص بالضمير بعد اضافة النكرة ، ذلك أن القلوب لكل منها قفل بحسب حالته ونوعه وذنبه ومعصيته، فدلّ السياق على نوعٍ بالقصد ، ودلّ على الأنواع الأخرى بالتَّرك ، فهذا الصنف من القلوب عليها أقفالها ، أقفال عدم تدبر القرآن ، وهم الملعونون الذين أَصَمَّهم الله وأعمى أبصارهم من أهل النفاق. بدليل ذكره تعالى أنواعاً أُخَر من الأقفال ، وقد تقدمت .

إذن لكل فئة أقفال تختص بها بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى ، فلما كان لكل فئة قفلها الخاص بها وافق ذلك إضافة الضمير ؛ لأنه كناية عن شيء معهود بالنسبة ، وليس للأستغراق الذي يناسبه مجيء الأسم .

المبحث الثاني
قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع العددي

أولاً : قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) للكلمة (أمثال) .

في قوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام : ١٦٠].

قال الطبري : " لَه عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها "[(١)]، وقال القرطبي : " لَه عشر حسنات أمثالها؛ فحذفت الحسنات وأقيمت الأمثال التي هي صفتها مقامها؛ جمع مِثل "[(٢)]، وهذا كلام في غاية الدقة والروعة ، تقديره : عشر حسنات أمثالها في الحسن "كمن أهدى إلى سلطان عنقوداً فإنه يعطيه ما يليق بسلطنته ، لا قيمة العنقود "[(٣)]، ونحن نتلمس من شذرات عقودهم البهية ، ومن اسرار السياق القرآني ، ومن مكنون أسرار اللغة ، ما تُسَرُّ به خواطرنا ، وتُسعَد به قلوبنا ، نتلمس التوسع الذي لاشيء قبله ولا بعده ، توسعاً في العطاء لكريم لا يدانيه في الكرم أحد .

لم يَرِد السياق (بعشرٍ مثلها) ولا (عشرٌ أمثالها) بل (عَشرُ أمثالها) ، وهذا هو التوسع بعينه. عشر مراتٍ من أمثالها ، أمثال غير محدودة ولا معدود . فإذا كانت الأمثال تسعة مليارات مثل ، فسيكون له عشر مرات تسعة مليارات مثل ، وبما أن الأمثال غير محددة فهذا يعني أن مضاعف العشرة رقم لا ينتهي أمام حسنة واحدة، فسبحان رب العرش عما يصفون .

إن إلصاق الضمير (ها) بصيغة أفعال يظهر حسناً آخر في هذا السياق ، فهو يحث على العناية بالحسنة كماً ونوعاً ؛ لأن فخامة المكافأة مرتبطة بفخامة الحسنة ، وهذا من التوسع في قوله (أمثالها) فإن زاد زِدنا ، وإن عاد عدنا ، وليس لأحدٍ بعد هذا أن يقول : إن صيغة أفعال اختصت بجمع القلة ، ويطلق الكلام إطلاقاً ، بعد أن تبين أثر هذه الإضافات والملحقات في دلالتها .

ثانياً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) للكلمة (ألوان) .

قال ابن عاشور في قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٧ ، ٢٨]

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري: ٢٧٥/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: ١٥٠/٧.

(٣) مختصر تفسير البغوي : ٧٨/٣ .

" الألوان : جمع لون . وهو كيفية لسطوح الأجسام مدركة بالبصر تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخلقة أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف ، وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوان غير متناهية ... ونِيط الاستدلال باختلاف الألوان بوصف التذكر ؛ لأنه استدلال يحصل بمجرد تذكر الألوان المختلفة إذ هي مشهورة " (١).

" والظاهر أن الألوان أريد بها ما يتبادر إليه الذهن من الحمرة والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك ، والألوان بهذا المعنى أوسع وأكثر من الألوان بمعنى الأصباغ ...، قال القشيري :

تخصيص الفعل بهيئته وألوانه من أدلة قصد الفاعل وبرهانه . فإتقان الفعل وإحكامه شواهد الصنع وإعلامه . وكذلك أيضاً الناس والدواب والأنعام ، بل جميع المخلوقات، متجانس الأعيان، مختلف الصفات ، وهو دليل ثبوت مُنشئها بنعت الجلال " (٢).

وقيل: " يحتمل معنيين ، أحدهما : أنَّ البياضَ والحمرةَ يتفاوتان بالشدة والضعفِ فرُبَّ أبيضَ أشدُّ من أبيضَ ، وأحمرَ أشدُّ مِنْ أحمرَ ، فنفسُ البياضِ مختلفٌ ، وكذلك الحمرةُ ، فلذلك جَمَع ألوانها ، فيكونُ من باب المشَكَّل . الثاني : أن الجُدَدَ كلَّها على لونين : بياضٍ وحُمْرَةٍ ، فالبياضُ والحُمْرَةُ وإنْ كانا لونَيْن إلاَّ أنهما جُمِعا باعتبارِ محَالِّهما " (٣) .

أما في (ألوانها) فربما كان المراد ؛ مختلف ألوان الثمرات ، وربما ؛ ألوان مختلفة من الثمرات . وبما ان الكلام على الألوان فقد أخفى الثمرات وكنَّى بالضمير، صحيح أن الثمرات متنوعة ، لكن الروعة في اختلاف الألوان ، والقوة في تنوعها، ووجود الضمير زاد السياق قوة لفظية ، وقوة معنوية في إشارة إلى تفرد الألوان وغلبتها ، من هنا تتسع دلالة الألوان متعددة في كل صنف من أصناف الثمرات ، إذ لا تتشابه ألوان الصنف الواحد ، ولا النوع الواحد ، وإن كان في شجرة واحدة . وكذا الأمر مع الجبال مختلف ألوان الأبيض، مختلف ألوان الأحمر ، والناس والدواب والأنعام ، مختلف ألوان كل صنف ، بل كل فرد ، جينات وخلايا متنوعة متلونة مختلفة لاتتشابه وإن اقترب الشبه إلا أن التدقيق والتمحيص يُظهر فرقاً ، ويُظهر تنوعاً ، ويُظهر اختلافا . توسعٌ عددي في الدلالة لا حدود له ، تأتى من دلالة الضمير على جزيئات الأجزاء، فسبحان رب العرش عما يصفون .

ثالثاً : قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) للكلمة (أكمام) .

في قوله تعالى : {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} [فصلت : ٤٧]

ضمير (أكمامها) راجع إلى الثمرات ، والأكمام : جمع كِمّ ،بكسر الكاف وتشديد الميم ،وهو وعاء الثمر ، وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويا على طلع الثمر(٤). فالأكمام : هي وعاء الزهر وطلعه الذي تتولد عنه الثمرات ،

---

(١) البحر المديد: ١٧٩/٥.وينظرالتحريروالتنوير: ٩٤/١٣.

(٢) التحريروالتنوير: ٩٤/١٣.

(٣) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٤٢٤٦/١.

(٤) تفسير ابن عاشور : ٢٣٧/٢٤ ، وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن الشيحي أبو الحسن : ٩١/٤ .

ودلالة السياق على الاستغراق والعموم بادية في أكثر من أداة (ما الموصولة الدالة على الشمول ، ومِن المستغرقة للجنس ، ودلالة السياق في الآية بقوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع) ، يضاف إليها الضمير(ها) للمبالغة في الاستقصاء ، والتوسع العددي، كل ذلك يوحي بالشمول والكثرة التي لا يُحصيها إلا خالقها ، ولو أن السياق تغير فكان (وما تخرج من ثمراتٍ من أكمام الثمرات) لكان تعريف الثمرات محدداً عددياً ويكون خصَّ الأكمام بالثمرات المعلومة عند الإضافة اليها ، فلمّا كانت الثمرات نكرة فإنها شملت كل أنواع الأكمام لكل أنواع الثمرات ، فـ (مِن) مع النكرة تأتي لإستغراق الجنس أي ما يخرج من جنس ثمرات كائن ما يكون من أكمام الثمرات كلها ، وهنا توافق بين الخارج وبين ما يخرج منه فهما متساويان متعادلان . إذن الكل مع الكل فهو استغراق للأصناف في النباتات كلها . كل صنف بصنفه كل نوع بنوعه ، وهو تعالى يعلمه وقت خروجه لا متقدماً ولا متأخراً .

وللضمير هنا مزية أخرى ، فقوله : أكمامها يعني الكل ؛ الثمرات ، والأكمام ، وخروجها من أكمامها ، والكيف، والكم ، والشكل ، على مرّ الزمان ، وتباين المكان ، إذ في دلالة استعمال الضمير توسع ، بخلاف ما لو قال : (ما تخرج من ثمراتٍ من الأكمام) ، فالكلام حينها على الأكمام ، أو قال : (ما تخرج من ثمرات من أكمام الثمرات) فالكلام على الثمرات . فتأمل كيف أن الساعة غيب غائر في ضمير المجهول ، والثمرات في أكمامها سر غير منظور ، والحمل في الأرحام غيب كذلك مستور ، وكلها في علم الله ، وعلم الله بها محيط . ويذهب القلب يتتبع الثمرات في أكمامها ، والأجنة في أرحامها . يذهب في جنبات الأرض كلها يرقب الأكمام التي لا تحصى ، ويتصور الأجنة التي لا يحصرها خيال! وترتسم في الضمير صورة لعلم الله بقدر ما يطيق الضمير البشري أن يتصور من الحقيقة التي ليس لها حدود.

المبحث الثالث

قصدية التعيين والنسبة في دلالة مجاز التشبيه والكناية

أولاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أدبار) .

نلحظ في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [النساء : ٤٧]

لفظة (أدبارها) وفيها للتابعين والعلماء أقوال :

أ- " أن نَطمِسَ وجوهاً ، أي :نمحو تخطيط صورها من عينٍ وحاجبٍ وأنفٍ وفمٍ ، فَنَردّها على أدبارها ، فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها (١). أو نجعل عيونها في أقفائها حتى تمشي القهقرى وهو قول ابن عباس وقتادة.[1]

(١) تفسير البحر المحيط: ١٦٧/٤.

ب – وقيل : أن نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها ، أي :في ضَلالها ذمّاً لها بأنها لا تصلح أبداً ، وهذا قول الحسن ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح ، والسدي .(٢)

جـ – وقالوا: " قد يطلق الطمس مجازا على إبطال خصائص الشيء المألوفة منه. ومنه طمس القلوب أي : إبطال آثار التمييز والمعرفة منها . (٣)

د – وقيل : أي: تنكيس الرؤوس إلى الوراء ، وإن كان الطمس هنا مجازا وهو الظاهر، فهو وعيد بزوال وجاهة اليهود في بلاد العرب ، ورميهم بالمذلة بعد أن كانوا هناك أعزة ذوي مال وعدة ، فقد كان منهم السموأل قبل البعثة ، ومنهم أبو رافع تاجر أهل الحجاز، ومنهم كعب بن الأشرف، سيد جهته في عصر الهجرة .(٤)

هـ – ويحتمل أن يكون مجازا بمعنى القهقرى ، أي: إصارتهم إلى بئس المصير؛ ويحتمل أن يكون حقيقةً وهو رَدُّهم من حيث أَتَوا ، أو إجلاؤهم من بلاد العرب إلى الشام (٥) .

فالسياق القرآني نَكَّرَ جمع التكسير،فكان التنكير للإبهام والعموم،ثم أضاف الجمع الى ضمير الغائب المؤنث(ها) للدلالة على النسبة والتخصيص ، فلما تداعى العموم والخصوص بانَ التوسع في دلالة السياق ، فدلت (أدبارها) على الأدبار حقيقةً ، وعلى أدبار الوجوه كنايةً ، وأدبار الذين أوتوا الكتاب مجازاً ، ثم تأمل كيف نسب الأدبار الى الوجوه ، فلو قال : أدبار الوجوه ؛ فالوجوه لا أدبار لها ظاهراً ، لذا خصَّصَ الأدبار بالضمير؛ ليحتمل أدبار الأجسام التي تحمل الوجوه ، أي : ترتد الوجوه فتنظر إلى الأدبار فيكون الرأس بالمعكوس ، فيسير الإنسان مُدبراً يحسب أنه يسير مقبلاً ، وهذا من سوء الفأل أن يسير المرء عكس ما يخطط . وفيه إشارة إلى أن الإنسان يمكن أن يعاكس في سيره الطريق الصواب ويخالفه فيسير عكس الاتجاه نحو الهاوية. ومن الممكن أن يكون كناية عن إلغاء الحواس فهم صُمٌّ بُكمٌ عُميٌّ ، وقد وُصِفوا بهذا الوصف في سورة البقرة {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة : ١٨] ، فلما جاء بالضمير وافق الأمر المتكَلَّم عليه الذي فيه خفاء واحتمال وجوه حتى يذهبوا فيه كل مذهب تتوسع فيه الدلالة ، فتوسع في الاحتمال ، وخصص في الكناية ليخصص كل صنف مايناسبه والله تعالى أعلم .

ثانياً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أبصار) .

في قوله تعالى : {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } [النازعات : ٨ ، ٩] ،" كناية عن الذل والخوف ، وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز ، والتقدير : قلوبُ أصحابها " (٦) . " أي أبصار أصحاب القلوب .

(١) ينظر : النكت والعيون : ٣٠٣/١ .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ٣٠٣/١ .

(٣) تفسير البحر المحيط: ١٦٧/٤.

(٤) ينظر : النكت والعيون٣٠٣/١ ، و تفسير الخازن١٠٩/٢ ، وتفسير القرآن ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني : ١ /٤٣٤ ، و روح المعاني ، الآلوسي : ٧٨/٤ .

(٥) الكشاف: ٤١٧/١، والتحرير والتنوير:١٥٠/٤.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٠٤٥/١

والخشوع حقيقته : الخضوع والتذلل ، وهو هيئة للإنسان ، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة " (١).

لقد توسع الضمير في دلالته ليشمل (أبصار أصحاب القلوب) ، ويدل بالكناية على (أبصار القلوب) ؛ لأن تنكير الأبصار وإضافتها إلى الضمير غرضه التوسع والعموم ، وإضافة الضمير إليه يدل على القصدية في إرادة التوسع ، فتأمل كيف مزج بين الأبصار والقلوب ، فجعل القلوب تنظر وجعل الأبصار تخشع ، وبدَّلَ الوظائف فأودع في القلوب وظيفتين فصارت القلوب واجفة محدِّقة خاشعة ذليلة ، تتحكم بالبصر فإذا انكسرت القلوب انكسر البصر ، ذاك هو القصد في هذا التصوير الفني المجازي ، في لوحة فنية معبرة وسيلتها اللغوية الضمير(ها).

المبحث الرابع

قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع على الخفاء والغموض

أولاً : قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أشراط) .

في قوله تعالى:{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}[محمد: ١٨]

قال ابن عجيبة : "(فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها ، لا لمطلق إتيانها ،على معنى : أنه لم يبقَ من الأمور الموجبة للتذكير أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشراطها ، فلم يرفعوا لها رأساً ، ولم يعدُّوها من مبادئ إتيانها، فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة " (٢).

أما العلامة والأمارة فهما الأثر الذي تتركه الأداة التي يعلّم بها ، فـ (أشراط) تعني العلامات التي تظهر بوجود مؤثر ، ووجود المؤثر دليل وجود المتأثر ، أي :كلٌ رأى علاماتها ، إذ لابد من ظهورها أولاً ، ولا بد من وجود سبب لظهورها ، واستغراق النسبة بـ (ها) دليل عموم الحال ، وفي قوله (قد جاء أشراطها) تحقق وقوع الشرط بوجود مظهره ، ويؤكد هذا اللفظ (المجيء) الذي يعني تحقق الوقوع ؛ لأن اللفظ متأخر عن الدلالة ، فحين نقول : مجيء و جيئة ، فهو دلالة على العودة الى الخلف لا التقدم الى الأمام ، أي وقعت أشراطها . وهو خِلاف (الذهاب) فهو المغادرة الى الأمام .

وإذا أضفنا الأشراط إلى الساعة (أشراط الساعة) تكون العلامات والأمارات جميعها قد ظهرت وعُلمت ؛ لأنها جاءت ؛ ولأنه ذَكَرَ(قد) وهي مع الماضي تفيد التحقيق ، وبما أنّ ذلك غير متحقق فإننا نجد السياق عدل عن الاسم الى الضمير ، وهذا يعني النسبة إلى الأشراط المعهودة فقط ، كذلك يحتمل الضمير العودة إلى الساعة والبغتة معاً ، أو مع أحدهما ، أي :جاءت أشراط الساعة أو أشراط البغتة . فضمير الكناية عائم يتسع الأمرين معاً ، وفي خفاء الدلالة

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٦٠.

(٢) البحر المديد :٦/٦١.

على أحدهما سر عجيب ، إذ جعلهم في حيرة من أمرهم ،فهم لا يدركون ما تحقق أشراطه أهو الساعة فلا يعلمون متى تقع مع تحققهم من وقوع علاماتها وقربها ، ولا هم يعلمون وقت المباغتة وأماراتها !! وهذا هو حالهم ، فقد وصف الله تعالى عدم إدراكهم بقوله : {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } [محمد : ١٦، نعم هم خرجوا من عنده وكانوا يسمعون ، لكنهم لا يعلمون ؛ لأنهم ليسوا من الذين أوتوا العلم ، لذا فهم يسألون الذين أوتوا العلم . أولئك طبع الله على قلوبهم ، فهم يرون علامات الساعة ولا يأبهون بها ولا يتعلمون من أخطائهم ، ويرون علامات المباغتة ولا يتعلمون من إجرامهم ولا يأبهون بها ، أتبعوا أهوائهم وضيعوا الصواب والهدى .

أليس في كناية الغيبة والخفاء دلالة مطابقة بين الحال والخطاب؟ إذ جعل الخفاء في المكني خفاءً في الدلالة على الحال ، والله تعالى أعلم .

المبحث الخامس

قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع في الحدث

أولاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أنبائها) .

في قوله تعالى: {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} [الأعراف : ١٠١]

من أنبائها ، أي " بعض أخبارها ، ولها أنباء غيرها لا نقصها عليك " [(١)]. قال الزمخشري : " فإن قلت : ما معنى الإخبار عن القرى بنقصّ عليك من أنبائها ؟ قلت : معناه : أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك " [(٢)].

" وتصديرُ الكلام بذكر القرى وإضافةُ الأنباء إليها مع أن المقصوصَ أنباءُ أهلِها والمقصودُ بيانُ أحوالهم حسبما يُعرب عنه قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات) لما أن حكايةَ هلاكِهم بالمرة على وجه الاستئصالِ بحيث يشمل أماكنَهم أيضاً بالخسف بها والرجفةِ وبقائِها خاويةً معطلةً أهولُ وأفظعُ " [(٣)] .

وقال ابن عاشور : " (من) تبعيضية ؛ لأن لها أنباء غير ما ذُكر هنا مما ذكر بعضه في آيات أخرى، وطُوي ذكر بعضه لعدم الحاجة إليه في التبليغ . والمراد بالقرى وضمير أنبائها : أهلها. كما دل عليه الضمير في قوله:(رُسُلُهُمْ) "[(٤)].

(١) البحر المديد : ٢٧٢/٢.

(٢) الكشاف: ٢٦٤/٢.

(٣) تفسيرابي السعود: ٢٣/٣ ،و ينظر روح المعاني : ٢٨٣/٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٢١٨/٨.

ويبدو التوسع ، وتبدو قصدية السياق من إضافة أنباء إلى الضمير(ها) ، وهذا واضح من السياق ، فلو قال أنباء القرى ، لاختص الأمر بالقرى ، لكن مع الضمير يحتمل أنباء أهلها ، وأنباء تكذيبهم ، وأنباء رُسُلِها ، وأنباء القرى ، وأنباء أنهارها ، وجبالها ، وسهولها وغير ذلك ، وإنما أضاف الأنباء إلى الضمير للإشارة إلى ما آل إليه حالهم وحال قراهم من خراب ودمار وخسف وإغراق وريح ، بسبب التكذيب ففي الضمير توسع في الدلالة يوحي بتوسع الأحداث والله تعالى أعلم .

ثانياً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أطراف) .

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[الرعد : ٤١]

للمفسرين في أطرافها أربعة تأويلات هي :

أ – الفتوح على المسلمين من بلاد المشركين ، قاله ابن عباس والحسن البصري وقتادة .

ب – خراب الأرض بعد العمارة ، قاله مجاهد .

جـ – نقصان بركتها وتمحيق ثمرتها ، قاله الكلبي والشعبي .

د – موت فقهائها وخيارها ، قاله ابن عباس [(١)] .

وعقَّبَ ابن عاشور على الآية فقال : " أي :أعجبوا من عدم اهتدائهم إلى نقصان أرضهم من أطرافها، وأن ذلك من صنع الله تعالى بتوجيه عناية خاصة ، لكونه غير جارٍ على مقتضى الغالب المعتاد ، فمن تأمل عَلِمَ أنه من عجيب صنع الله تعالى . وإن كان المراد أرضا من الدنيا ، أي مصيرها بيد عباد الله الصالحين كانت هذه الآية مسوقة لوعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى ، وهي أرض مكة وما حولها ، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا بعد بشارتهم بحسن مآلهم في الآخرة " [(٢)].

إن سياق الجملة الفعلية يوحي بإمكانية الإكتفاء بالمفعول به من غير ذكر الجار والمجرور – أطرافها –، لكن النص القرآني أكد على ذكر الأطراف ، وفي ذاك إشارةٌ إلى أن النقص يصيب أطراف الأرض ، فالكلام على أطراف الأرض لا على الأرض ، في عملية نقص الحواشي والجهات ، أي ننقص الأطراف لا ننقص الأرض ، أو ننقص الأرض نبدأ من أطرافها ، أو ننقص أطراف الأرض اليابسة ، أو ننقص أطراف الكرة الأرضية بما فيها اليابس والماء ، فهي تتناقص وتضمحل، فالكلام يحتمل كل الأرض ، ويحتمل جزءاً من الأرض ، وهو مدلول الضمير. فلولا الضمير لاحتمل معنىً واحداً فقط ، وهو كل أطراف الأرض ، والأرض ليس فيها طرف ؛ لأنها كروية ، لكن الأطراف فيها أطراف اليابس مع الماء، وربما يشير ذلك إلى إن البحار ستلتهم اليابسة ، أو أن الكرة الأرضية تتطاير أطرافها وتتناثر وتصغر حتى تنتهي

(١) النكت والعيون: ٣١٩/٢ ، والتحرير والتنوير :١٧/ ٥٥ ، والدر المنثور في التأويل بالمأثور ، السيوطي : ٦ / ٢٧ . .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٥/١٧.

وتفنى، من هنا صار النقص في الكل وفي الجزء دليل التوسع في الأحداث وليس الحدث الواحد وبانت قصدية السياق ظاهرة، والله أعلم .

ثالثاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أقطارها) .

في قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا } [الأحزاب : ١٣ ، ١٤]

" الأقطار: جمع قُطر – بضم القاف وسكون الطاء – وهو الناحية من المكان . وإضافة (أقطار) وهو جمع يفيد العموم ، أي: من جوانب المدينة جميعها ، وذلك أشد هجوم العدو على المدينة كقوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأحزاب: ١٠]. وأسند فعل {دُخِلَتْ} إلى المجهول ؛ لظهور أن فاعل الدخول قوم غزاة ... والضمير المستتر في {دُخِلَتْ} عائد على المدينة ؛لأن إضافة الأقطار يناسب المدن والمواطن ولا يناسب البيوت... فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد الخبث والفساد " [(١)] هذا ما وردنا من القدامى ، لكن يظهر من السياق للناظر ما يأتي :

إضافة أقطار إلى المدينة يخصصها بالمدينة ، أي : ولو دُخِلَت عليهم من أقطار المدينة ، وتعريفها بأل ظاهره أنَّ المراد التخصيص بالأقطار ، أي : لو دُخِلَت عليهم من الأقطار ، أما (أقطارها) ففيه العموم ، وفيه الخصوص ؛ لأنه يشمل أقطار الأرض ، وأقطار المدينة ، وأقطار بيوتهم ، وأقطار قلوبهم ، فالسياق يحتمل كل واحد من هذه الأمور بدليل قوله تعالى في سورة الرحمن : {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣] ، فحدد ، ولم يذكر الضمير بل ذكر الاسم الظاهر الذي يدل على استغراق الإضافة للمنسوب اليه ، أما الاضافة للضمير فتفيد توسع الدلالة ، وتفيد التخصيص في تحديد تلك الدلالة ،؛ لأن المراد بالأقطار دواخل المدن ومراكزها ومحاورها الرئيسة ، ودواخل البيوت ومُستقر الطمأنينة فيها ، ودواخل نفوسهم وقلوبهم ومواطن الارتجاف فيها ، فصارت هذه المواطن كلها موطن الخلل ومدعاة للفزع ، وتعددت عوامل الغزو بين غزو مادي بالجيوش ، وغزوٍ معنوي يصيب النفوس ، فصار الضمير دليل التوسع في الحدث ودليل التوسع في المكان ، وبان الفضل في استعماله، والله تعالى أعلم .

رابعاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أقواتها) .

قوله تعالى:" {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}[فصلت : ٩ ، ١٠]

(١) ينظر تفسير روح البيان ،لإسماعيل مصطفى الإستانبولي: ١١٥/٧ .

قدّر ذلك على قدر مسائلهم ، أي يعلم أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون ، وقدر فيها أقواتها سواء لسائليها على ما بهم إليه الحاجة ، وعلى ما يصلحهم [١] . وفيها أقوال :

أ- أرزاق ساكنيها ومعايشهم ، وأضافهما إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها برزت .

ب- أقواتها من الجبال والأنهار والأشجار والصخور والمعادن ، والأشياء التي بها قوام الأرض ومصالحها .

ت- أقواتها من المطر والمياه .

ث- خصائصها التي قسمها في البلاد مما خص به كل إقليم ، فيحتاج بعضها إلى بعض في التقوّت من الملابس والمطاعم والنبات [٢] .

من هنا نعلم أنه تعالى خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات ، وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحب للحبوب ، والكلأ والكمأة ، والنَوى للثمار، والحرارة التي يتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطير، وما يتولد منه الحيتان ودواب البحار والأنهار. ومن التقدير: تقدير كل نوع بما يصلح له من الأوقات من حر أو برد أو اعتدال ، وجمع الأقوات مضافاً إلى ضمير الأرض يفيد العموم ، أي: جميع أقواتها وعمومه ، باعتبار تعدد المقتاتين ، فللدواب أقوات ، وللطير أقوات ، وللوحوش أقوات ، وللزواحف أقوات ، وللحشرات أقوات ، وجعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها كما أفاده قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة : ٢٩] ٣ .

وعلى هذا فالأقوات للأرض لا للسكان ، والمعنى أن الله عزَّ وجلَّ قدر لكل أرض حظَّها من المطر . وقيل :المراد من إضافة القُوت إلى الأرض كونها متولدة في تلك الأرض وحادثة فيها؛ لأن النحاة قالوا في حُسن الإضافة أدنى سبب فالشيء قد يضاف إلى فاعله تارة ، وإلى محله أخرى ، فقوله (وقدَّر فيها أقواتها) أي: قدَّر الأقوات التي يختص حدوثها بها ؛ وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدة معدناً لنوع آخر من الأشياء المطلوبة بمعنى أن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في ذلك البلد وبالعكس فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال[٤] .

يبدو أن الكلام على أقوات الأرض وليس أقوات الإنسان فقط ؛ لأن للأرض أقواتاً متعددة ؛ منها مايصلح أن يكون قوتاً لنا ، ومنها لايصلح ، فلو قال : (أقوات الأرض) لكانت منفعتها للأرض ، أي : هي المستفيد منها ، ولو قال : (الأقوات) لشمل الأقوات المعلومة فقط ، لكن (أقواتها) فيه توسع في الدلالة ليشمل الجميع ؛ القوت المعلوم وغير المعلوم ، المودع فيها لها ولغيرها ، أضف الى ذلك أن فيه إشارة الى أقوات المخلوقات والناس جميعا ، فهذه السعة في الدلالة مؤداها من الضمير ، وفي خلاف ما ورد تتلاشى هذه الدلالة والله اعلم باليقين .

---

(١) ينظر معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ هـ) : ١٦٥/٧ .

(٢) ينظر البحر المحيط: ٢٨٣/٩ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ٥٦/٢ .

(٤) ينظر: النكت والعيون ، للماوردي : ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٥٠/٦،تفسير اللباب في علوم الكتاب ،لأبي حفص سراج الدين النعماني: ٢٧/١٤.

خامساً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أرجائها) .

في قوله تعالى : {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٦ ، ١٧].

" قال ابن عباس : على حافَّاتِها حين تنشق ، والظاهر أن الضمير في حافاتها عائد على السماء .

وقال ابن جبير والضحاك : على حافات الأرض ، ينزلون إليها يحفظون أطرافها ، وإن لم يجر لها ذكر قريب. كما رُوي أن الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفاً على حافات الأرض ، ثم ملائكة الثانية فَيُصَفُّون حولهم ، ثم ملائكة كل سماء ، فكلما ندّ أحد من الجن والإنس وجن الأرض أحيط بها " [(١)].

وقيل " المَلك هنا اسم جنس ، والأرجاء الجوانب واحدها (رجى) مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء ، لأنها إذا وَهِيَتْ وقفوا على أطرافها ، وقيل : يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه ، وإن لم يتقدم ذكرها، ورُوي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض . [(٢)]

وقيل : الملائكة على شقها ، أي :على حافاتها ، على ما لم يَهِ منها ، ينظرون إلى أهل الأرض ، وما أتاهم من الفزع .[(٣)]

يتبين أنَّ في قوله : (أرجائها) دلالة التوسع باستعمال الضمير فقد نَكَّرَ الأرجاء وأضافها إلى الغائب ، ولو قال : على أرجاء السماء أو الأرض ، لكان الكلام على السماء أو الأرض ، وقد لا يكون مراداً ، ولو عرَّف (الأرجاء) بأل ؛ لكان الكلام على الأرجاء المعروفة ، وقد لا يكون مراداً أيضا ، لكن لما قال : أرجائها ، كان الكلام على الكيفية ، ليشمل حالة المـَلَك في ذاك الوقت ، بدليل تشقق السماء يومئذ والمَلَك يقفون على أرجائها الباقية بعد التشقق . ومما يدلل على عدم حصر الإرادة بـ (أرجاء السماء أو الأرض) ؛ أنه من المروي أن الملائكة يحفُّون السماء والأرض ، ولايوجد مقدار أربعة أصابع إلا ومَلَك ساجد أو راكع ، ولذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام : (إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطَّت السماء وحق لها أن تَئِط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله) ، وفي رواية (أَطَّتْ السّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ سَاجِد أو مَلَكٌ راكع) [(٤)] ،

فترجَّح أنه أراد التعبير عن حالة مخصوصة من مشاهد يوم القيامة لانَعلمُ كُنهها ولا كيفها ، فهذه الأرجاء المخصوصة تضاف الى الأرجاء السابقة . فتأمّل روعة هذا التعبير بين التوسع والتخصيص .

سادساً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أثقالها) .

---

(١) البحر المحيط:٣١٨/٣ ، ١٠ /٣٣٩.ولم أجده في متون الحديث ولا شروحه .

(٢) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي: ٢٤٥٨/١.

(٣) ينظر النكت والعيون: ٣١٧/٤. والدر المنثور في التأويل بالمأثور، للامام السيوطي :٩٢/١٠.

(٤) ينظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: ١ / ٣١٣ ، و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي للزحيلي : ٢٩ / ٢٣٩، و الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٢٨٤ . ولم أعثر عليه في متون الحديث ولا شروحه .

قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } [الزلزلة : ١ ، ٢] .

" أخرجت الأرضُ أثقالها ، أي : ما في جوفها من الأموات والدفائن ، جمع : ثِقْل ، وإظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير ، أو : للإيماء إلى تبدُّل الأرض غير الأرض " [١] . "وقيل : موتاها ، تخرجهم في النفخة الثانية ، ومنه قيل للجن والإنس : الثقلان " [٢] ، وقيل " الأثقال : كنوز الأرض ، وموتاها ، والذُّنوب ، والأحمال الثقيلة "[٣]، ويحتمل أن يكون إخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى وإحياؤها في النفخة الثانية،وتكون على وجه الأرض بين النفختين،وقيل إنها تزلزل عند النفخة الأولى فتخرج كنوزها وتزلزل عند الثانية فتخرج موتاها،و هوما أشار إليه الآلوسي[٤].

وذهب ابن عاشور مذهباً نتلمس فيه دلالة القصدية والنسبة دالاً على التوسع ، إذ قال : " وأضيف {زِلْزَالَهَا} إلى ضمير الأرض ؛ لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها ... ، وإخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق سطحها فتقذف ما فيها من معادن ومياه وصخر. وذلك من تكرر الانفجارات الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها وانقلاب أعاليها أسافل والعكس " [٥]. وقيل : " لأنَّ إخراجَ الأثقالِ حالُ بعضِ أجزائِها " [٦] .

إن دلالة الضمير في قوله تعالى : (زلزالها) ، توحي بالعظمة ، أي :زلزالها العنيف الذي لا يشبه الزلازل المعهودة ، ودلالته في (أثقالها) تعني الأثقال غير المتصورة عند البشر ، أي :غير المنظورة وغير المدركة . شيء فاق حدود المتوقع . ثم أن تخصيصها بالضمير يدل على النسبة والاستغراق . إذ المراد الأثقال التي تخصها من أصول الجبال التي تثبت الأرض مغروسةً فيها كالأوتاد ، فإذا خرجت من أوكارها تفجَّرت الأرض فثارت البراكين وسارت ينابيع الحمم ، أما الأثقال الأخرى من دَفائن وأموال فقد لا تكون مقصودة ، فاستبان التوسع في النص من إضافة الضمير ، وهذه الفخامة ستتممها الآية اللاحقة .

سابعاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) لكلمة (أخبارها) .

في قوله تعالى : { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } [الزلزلة : ٤]، أوجه : منها : تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة . ومنها : تُحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها ، قال ابن مسعود : فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى ، وأن أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم ، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن [٧].

(١) البحر المحيط: ٢٠/١١.

(٢) النكت والعيون ، للماوردي : ٤٤٤/٤ ، وينظر وتفسير اللباب في علوم الكتاب ،: ٤١٩/١٦.

(٣) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ١٠٤٥ (ثقل) .

(٤) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي: ٨٣/٢٣.

(٥) التحرير والتنوير : ٤٣٣/٣٠.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للماوردي: ٤٦/٧ .

(٧) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعمادي: ٤٦/٧ .

قال الآلوسي : " (**أَخْبَارَهَا**) باعتبار تعدد دلالتها على عدد القائلين " [(١)] .

إن افتتاح الكلام بظرف الزمان ، وإطالة الجملة التي أضيف إليها الظرف ؛ فيه تشويق إلى متعلق الظرف ، إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتا لِيُروا أعمالهم ، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء ، وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه بحيث لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه ، فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع الموقت . وما يحدث فيه من الأهوال ، فهو مجاز، وحديث بلسان الحال ، وقيل : هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة ، والأصل

(أخرجت الأرض أثقال الارض) .

يقول النحاة : انتقل الى الضمير لتجاوز التكرار , والحقيقة أنه لا يوجد تكرار هنا ، فالأرض الأولى فاعل ، والثانية مضاف ، والمخصص بالإضافة وهو المفعول معرفة أو يقوم مقام المعرفة بالتمام ، فيصبح المعنى (أخرجت الأرض الأثقال) أي :كل الأثقال لا تُبقي شيئاً ، وهذا هو التغيير المذكور . وحقيقة أضافته إلى ضمير تعني أثقالاً منسوبةً لها لا كل الأثقال، وهو معلوم من قول أبي عبيدة : أن الثقل في بطنها ينسب لها ، وعلى ظهرها أي :عليها ، فإذا أخرجت نصف الأثقال سواء كانت في بطنها أو فوقها فإنه يصدق عليها أثقالها، وكذا إن كان أقل أو أكثر. لكن لا يعني أن المراد منه الشمول والاستغراق ، وهذه هي فائدة الكناية ، إذ كَنّى بها عن النسبة من غير استغراق ، بعكس الاسم ، فيعم قوله تعالى :

(يومئذٍ تحدث أخبارها) أي تخبر الأرض الأخبارَ ، فالأرض هي التي تحكي وتسردُ وتحدِّثُ وتقصُّ الأخبارَ، والأخبار مفعول، فالتقدير : تحدّث الأرض أخبار الأرض ، فصارت الاخبارُ مُخبِرةً وحلّت محل الفاعل في الإخبار ، فكأنه صار فاعلان : الأول (تحدث الأرض) والثاني (تحدث أخبار الأرض) ، وتكون الجملة الثانية في محل مفعول للجملة الأولى، فهذا توسع في الدلالة يصير الى فاعلين أحدهما مفعول به حقيقةً .

إن وجود الضمير هنا يحل هذا المشكل فيزول الحرج ، فبدل أن تكون الدلالة (تحدث الأرض أخبارها) والمتحدَّثُ عنه الأخبار، يتحول المفعول فاعلاً ؛ لأن حقيقة الأَخبار مُخبِرة ، ويحافظ على دلالة الأصل فيكون (تُحدِّث الأرضُ الأخبارَ) ، أي: تُعدِّد الأخبارَ وتُخبرها ، ويبقى الفعل تُحدّث ، متعدياً لا لازماً ، والتقدير: تحدث الأرضُ أخباراً هي أخبرت بها لا الأخبار التي أُخبرت بها – وهذه الأخبار أخبار مخصوصة معهودة بهذا الأمر ، أي: ما يخص الأنسان وسؤاله ، وهو سؤال المشدوه المبهوت المفجوء ، الذي يرى ما لم يَعهد ، ويواجه ما لا يُدرك ، ويَشهد ما لا يَملِكُ ، الصبرُ أمامه والسكوت ،

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي: ٨٣/٢٣.

(مالها) ما الذي يزلزلها هكذا، ويرجُّها رجاً ، (مالها) ؟ وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ; ويحاول أن يُمسك بأي شيء يسنده ويثبته وكل ما حوله يمور موراً شديداً ، والإنسان قد شَهِدَ الزلازل والبراكين من قبلُ وكان يُصاب منها بالهَلع والذُعر والهلاك والدمار ولكنه حين يرى زلزال يوم القيامة لا يجد شبهاً بينه وبين ما كان يقع من الزلازل والبراكين في الحياة الدنيا . فهذا أمرٌ جديد لا عَهد للإنسان به ، أمر لا يعرف له سراً ولا يذكر له نظيراً ،أمر هائل يقع للمرة الأولى . (يومئذ) يوم يقع هذا الزلزال ويُشْدَهُ أمامه الإنسان ؛ (تُحدِّثُ أخبارها ، بأن ربك أوحى لها) ، يومئذ تُحدث هذه الأرض أخبارها وتصف حالها وما جرى عليها . لقد كان ما كان لها بأن ربك أوحى لها وأمرها أن تمور موراً ، وأن تزلزل زلزالها ، وأن تُخرج أثقالها ؛ فأطاعت أمر ربها وأذِنت لربها وحُقَّت . تُحدِّث أخبارها ، فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها , لذا جاء ضمير الكناية دليل إضافةِ نسبةِ العمل لا الأَخبار المنسوبة ، أي : الأخبار التي أخبرتها . وهنا لا توحي صيغة (أفعال) بالدلالة على القلة أبداً ، وكيف تصحب القلة أحرف الإطلاق والمد والاستطالة ؟!.

المبحث السادس

قصدية التعيين والنسبة في دلالة التوسع في المنفعة

أولاً: قصدية التعيين والنسبة في إضافة الضمير(ها) للكلمات : أشعار و أوبار و أصواف .

قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل : ٧٨ – ٨٠

لم أجد من المفسرين من توقف عند ألالفاظ (أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها) ناظراً إلى الصيغة أو الإضافة فيها ، فما دلالة الصيغة ؟ وما دلالة الإضافة في هذه الآية المباركة ؟ وما الفرق لو قال :

(أصواف الأنعام ، وأوبار الإبل ، وأشعار الماعز) ، أو قال : (الأصواف ، والأوبار ، والأشعار) ؟ عندها نتوقف عند المراد وهو بيان الانتفاع من الأنعام ، (من جلودها وأصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها) فتوسع في السياق ليشمل الأنعام ، ويشمل ما يُنتفع به منها ، ويشمل الانتفاع ، فصار المراد من هذا السياق هذه الأمور جمعاء ، فأصوافها وأوبارها وأشعارها، ليست نوعاً واحداً ، ولا لوناً واحداً ، ولا جنساً واحداً ، ولا تتوافق رِقةً ، ولا غِلظةً ، ولا خشونةً ، ولا نعومةً ، ولا تسرُّحاً ولا تجعيداً ، ولا قِصَراً ، ولا طُولاً، ولا قوّةً ، ولا ضَعفاً ، ولا دِفئاً ، ولا حِمايةً ، ولا ثَباتاً ، ولا تساقطاً ، ولا صَنعةً ، ولا خِفَّةً ، ولا ثِقَلاً ، ولا زَهاءً ، ولا جمالاً ، ولا بهاءً ، ولا قُبحاً ، ولَّا صِحَّة ، ولا إمراضاً ،

ولا توافقاً مع بيئةٍ خِلافَ غيرها ، ولا لأنثى مثلما للذكر ، ولا لصغيرة مثلما للكبيرة ، ولا للسمينة مثلما للهزيلة ، ولا لبنت الجبل مثلما لبنت السهل والوادي. هكذا تتنوع إلى أنواعٍ لا يحدّها حدّ ، ولا يضبطها ضابط .

هذا من جهة التوسع في الدلالة . أضف إلى هذا أن إضافة هذه الألفاظ الى الضمير دلت على أنواع مخصوصة مناسبة لأجناس بني البشر كل على حَسب ذوقه وعادته ومراده وبيئته ، فتأمل ملياً في هذا الكلام، فإن تحته أسراراً عجيبة لمن فتح الله له .

الخاتمة ونتائج البحث

بعد رحلتي مع الآيات القرآنية الشائقة البديعة أجدني تفتحت في بصيرتي بصائر وفي أعيني عيون وفي عقلي عقول أجدني وصلت إلى مواطن العلم وسر الأسرار كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ففي هذه الرحلة نظرت في مكنون الآيات فعرفت نتائج هي من أسرار النص القرآني ، وكان من ذلك الآتي:

١- إضافة ضمير الكناية (ها) إلى صيغة (أفعال) يحتمل الدلالة على العموم والخصوص فهو من أساليب التوسع .

٢ــ النسبة في ضمير الكناية إلى هذه الصيغة هي نسبة فاعلية وأحياناً نسبة مفعولية وقد تكون نسبة تخصيص وهو الأقل.

٣ــ صيغة أفعال ذات دلالة حقيقية على الكثرة وليست على القلة ، ووجود ضمير الكناية (ها) له مزية في قصدية التعيين والتحديد والنسبة وتوسع الدلالة .

٤ــ إضافة الضمير (ها) لم يرد إلا في المجردات والجمادات مما جُمع على صيغة (أفعال)وهي : الأبواب , الأقفال , الأثقال , الأدبار , الأطراف , الأقطار , الأرجاء , الأبصار , الأصواف , الأوبار , الأشعار, الأقوات , الأكمام , الأمثال , الألوان , الأشراط , الأنباء , الأخبار.

٥- لم تُضَف الجموع المتعلقة بالإنسان والحيوان مثل : أقوام و أنعام , ولا صفاتهما إلى الضمير(ها) .

٦- دلَّت إضافة الضمير (ها) إلى صيغة أفعال على أمور منها : الاختصاص في معانٍ تقود إلى التوسع المبالغ فيه والدلالة على العموم .

والختام بالصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه والتابعين راجياً الرشاد والسداد والله الموفق.

المصادر:

١. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، تح : د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة ، ١٣٩٨

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،

(٩٨٢هـ). دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٩٩م.

٣. أسرار النحو, لشمس الدين أحمد بن سلمان المعروف بابن سلام باشا (ت٩٤٠هـ) , منشورات دار الفكر.

٤. أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، تح محمود أحمد محمد وآخرين ، دار واسط ــ بغداد، ١٩٩٠م .

٥. البحر المحيط ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي،(٧٤٥هـ). دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي (١٢٢٤هـ) (١٨٠٩م) ، تح: أحمد عبد الله القرشي رتيثان ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .المكتبة الشاملة .

٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

٨. التسهيل لعلوم التنزيل ، للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، عناية :أبو بكر بن عبد الله سعداوي ، المنتدى الإسلامي – حكومة الشارقة .الطبعة الأولى (١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م.

٩. تفسير روح البيان ،لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(١١٢٧هـ–١٧١٥م)، دار إحياء التراث العربي .

١٠. تفسير القرآن ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩هـ)تح. ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ،الناشر دار الوطن — الرياض ، السعودية ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

١١. تفسير القرآن العظيم ,أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ). ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دمشق ط/٢ ، ١٤١٨ هـ .

١٣. جامع الأحاديث ، لجلال الدين السيوطي ،جمع وترتيب عباس أحمد صقر و أحمد عبد الجواد دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(٣١٠هـ) ، تح: أحمد محمد شاكر، ط: ١ ، مؤسسة الرسالة، ، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ. ١٩٦٧ م .

١٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف السمين الحلبي (٧٥٦هـ) تح أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ٢٠٠٨ .

١٨. الدر المنثور في التأويل بالمأثور ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ). تح .مركز هجر للبحوث ، دار هجر – مصر ،سنة النشر : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ، (١٢٧٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (ت : ٩٧٧هـ)/ دار الكتب العلمية . بيروت.

٢١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, لبهاء الدين عبد الله بن عقيل(٧٦٩هـ),تح:محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الفكر, بيروت,ط١٦, ١٩٧٤م.

٢٢. شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهري،(ت٩٠٠هـ)، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ت)

٢٣. شرح الرضي على كتاب الكافية في النحو, لرضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي,(٦٨٦هـ),تصحيح وتعليق:يوسف حسن عمر,منشورات جامعة قار يونس,بنغازي, ١٩٩٦ م.

٢٤. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب , لابن هشام الأنصاري , تح:محمد محيي الدين عبد الحميد,المكتبة التجارية الكبرى,(د,ت) .

٢٥. شرح المفصل,لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(٦٤٣هـ) دار الكتب العلمية , بيروت, ط/١, ١٤٢٢هـ .

٢٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

٢٧. ضمائر الغيبة ، ضمائر الغيبة أصولها وتطورها ، بحث للدكتور فوزي حسن الشايب ، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي –جامعة الكويت المجلد :٨ العدد : ٤٦ ١٩٨٧ .

٢٨. القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزآبادي ، المكتبة التجارية الكبرى. مصر،(د . ت) .

٢٩. الكتاب , لسيبويه أبي عمرو بن عثمان بن قنبر, تح ,عبدالسلام هارون ، دار عالم الكتب ٢٠٠١,ط/٢.

٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ، (٥٣٨هـ).دار التراث العربي ,بيروت.

٣١. الكشف والبيان ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٢. الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تح: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٣. اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني،(ت : ٧٧٥هـ). تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م .

٣٤. لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى(تفسير الخازن) ، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٤١هـ) ، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

٣٥. لسان العرب, لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم,(٧١١هـ),دار صادر, للطباعة والنشر,بيروت,١٩٥٦م .

٣٦. مختصر تفسير البغوي ، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، ط١ ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤١٦هـ.

٣٧. معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط/٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٨. معاني النحو, د . فاضل السامرائي , ط /٢, دارالفكر,٢٠٠٣.

٣٩. معجم الأفعال المتعدية بحرف ، لموسى بن محمد بن الملياني الأحمدي نويوات ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩.

٤٠. النكت والعيون (تفسير الماوردي),لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ، (٤٥٠هـ). تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٤١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية,للامام جلال الدين السيوطي(ت٩١١) د/ المعرفة بيروت ٢٠٠٢,ط/٢.